Received: 2/3/2020 Accepted: 3/5/2020 Published: 2020

المكان والشخصية في الخطاب السردي عند عبد الكريم العبيدي

أ.م.د. تغريد عبد الخالق هادي الباحثة : غادة طارق مجيد

كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية

Dfcv2612@gmail.com

المستخلص:

أفاد الراوي من تعدد الشخصيات وعمل على تنويعها في جميع رواياته كان للمكان أثر كبير في الشخصية فالمكان متأثر ومؤثر في الوقت ذاته . المكان يضيق ويتسع بحسب وجهة نظر الراوي . عمل الراوي على توظيف شخصية المرأة بادوار متعددة ، إلَّا أن دور المرأة في روايات الحرب كان ثانويا متأثراً بالمكان تأثراً فاعلاً تنتمي شخصية المرأة في روايات العبيدي إلى الشخصية الجاذبة مع أنها وردت في أدوار مختلفة ، (جدة ، وطبيبة ، وسكرتيرة ، ومحبوبة ، وأخت (لم تأخذ أغلب أدوار المرأة مساحة واسعة من روايات عبد الكريم العبيدي اقتصر ذكر المرأة على أداء الدور العاكس للمؤثرات الناتجة عن أحداث الحرب على المكان عمل الراوي على أيجاد المعادل البصري في خلق شخصياته وقد أوجد نوع من أنواع المفارقة في الجمع بين شخصية المثقف وشخصية العمارتلي عمل الراوي على بيان أكثر من دلالة في إظهار دور المثقف ، فتارة يتعرض إلى مؤثرات تنتهي بدوره إلى لا شيء وتارة أخرى يعمل على تغيير ثقافي محسوس أكد الراوي على أن الشخصية المرهوبة الجانب يمكن لها أن تغيير من مسارها وتتحول إلى شخصية جاذبة وتغير وجهة النظر تجاهها.

الكلمات الافتتاحية : المكان - الشخصية - الخطاب - السرد - الخطاب السردي

المقدمة:

تنفرد الشخصية عن غيرها من تقنيات السرد بأنها تتميز بأداء وظائف متعددة مؤثرة تارة وأخرى متأثرة وترتبط بعلاقة الملازمة مع الزمان والمكان ولها القدرة على تغيير مفهوم المكان والزمان بحسب وجهة نظرها ، فضلا عن أداء دورها في تبيان وجهة نظر الراوي ، ولاشك أن لها علاقات متفاوتة مع الزمن والمكان ، تسمح للناقد بتسليط الضوء والتمعن في البحث عن أحدى هذه العلاقات ، و مما دعاني للبحث في علاقة الشخصية بالمكان في روايات عبد الكريم العبيدي ؛ أنه أولى اهتماماً كبيراً بالمكان وجاء به متنوعاً ولم يغفل دور الشخصية وتأثيرها عليه وعني بالعلاقة الوطيدة بينهما.

التمهيد:

تُعدُّ الشخصية من العناصر السردية المهمة والتي أخذت على عاتقها مهمة تبيان وجهة نظر الكاتب داخل العمل الروائي . فالشخصية بما تحمله من طابع حركي أضحت عاملاً مهماً أفاد منه الكتاب كثيراً في خلق أجواء تخيلية تسهم بشكل كبير في تطور العمل السردي وتماسكه، إذ نجد في قاموس السرديات إن الشخصية **" كائن له سمات إنسانية منخرط في أفعال إنسانية، ويمكن أن تكون رئيسية أو ثانوية، ديناميكية أو ثابتة، متسقة أو غير متسقة، مسطحة أو مستديرة، ويمكن كذلك**

تحديدها على أساس أعمالها وأقوالها ومشاعرها، وطبقاً لاتساقها مع الأدوار المعيارية، أو طبقاً لاتفاقها مع مجالات محددة من الأفعال، أو تجسيد لبعض العوامل"[1] .

وقد اهتمت الحركة النقدية الحديثة بالشخصية، فـ(جورج لوكاتش) يعتقد أن " **أهمية الشخصية تأتي من تمكن مبدعها من الكشف عن الصلات العديدة بين ملامحها الفردية وبين المسائل الموضوعية العامة، ومن قدرت على جعلها تعيش أشد قضايا العصر تجريداً وكأنها قضاياها الفردية المصيرية"**[2] .

ويرى فلاديمير بروب أن أهمية الشخصية تكمن في " **تحديد الوظائف بغض النظر عن هوية منجزيها** "[3] . ويؤكد غريماس على الجانب الدلالي الذي تلعبه الشخصية داخل العالم السردي، أما الشكلانيون الروس فقد ركزوا على الجانب الوظيفي لهذا العنصر المهم أكثر من سماته الخارجية[4] .

فالجانب الوظيفي إذن يُعدُّ سمة بارزة لهذا العنصر السردي ؛ لذلك لن نستغرب اهتمام الكتاب بكيفية خلق شخصيات تلائم أعمالهم السردية، فهي عامل جذب مهم للمتلقي نحو الروائي.

وتمتاز الشخصية في العمل السردي عن غيرها في الأعمال الأدبية الأخرى أنها تمثل الوساطة بين العقد وبين جميع المشكلات الأخرى، إذ لا توجد بين مقومات السرد الأخرى ما يفترض أن يؤدي ما تؤديه الشخصية [5]. ومع أن الشخصية في السرد تتمثل بوصفها في عالم ورقي، إلاَّ أن ذلك لا يمنع من اتحاد الكاتب مع الشخصية اتحاداً وثيقاً إلى درجةٍ يصعب الفصل بينهما[6].

وقد تتغير نمطية الشخصية باختلاف فكرة الكاتب، فتارةً تجد شخصيات إنسانية وتارةً شخصيات حيوانية تقوم بدور توجيهي كما هو الحال في (كليلة ودمنة) التي حاول فيها الفيسوف الهندي (بيدبا) نصح الحاكم الطاغي دبشليم موظفاً فيها شخصيات حيوانية من أجل إيصال الرسائل التوجيهية ،بطريقة أدبية مهذبة، من دون أن تسبب حرجاً له .

ويتضح مما تقدم ذكره أن الشخصية تأخذ على عاتقها مهمة تنمية الحدث والتأثير في عناصر السرد الأخرى كالمكان الذي قد تقلب الشخصية دوره باختلاف توجهاتها المتعددة.

أنماط الشخصية:

من خلال القراءة المعمقة لأعمال عبد الكريم العبيدي، وبالتحديد ما يخص علاقة الشخصية بالمكان أو الفضاء الروائي، وجدت أنَّ تقسيمات الناقد (حسن بحراوي) قد تكون هي الأقرب لدراسة أنماط الشخصيات في أعمال العبيدي الروائية، فقد امتازت تقسيماته بالشمول والوضوح المعرفي، وعليه سأقوم بتقسيم أنماط الشخصيات في نتاج العبيدي ،على ثلاثة أنواع: (الشخصية الجاذبة، والشخصية مرهوبة الجانب، وشخصية ذات الأبعاد السيكولوجية).

1- الشخصية الجاذبة:

ونعني بها تلك الشخصية التي تستحوذ على اهتمام الشخصيات الأخرى، ومر ذلك يعود إلى ميزات أو صفات خاصة تتمتع بها تلك الشخصية، وقد تكون تلك الميزات مزاجية أو متأصلة في نفسية الشخصية [7] . ومن أنماط الشخصية الجاذبة في روايات العبيدي:

أ- شخصية المرأة:

يعد العبيدي من الروائيين الذين حاولوا تبيان دور المرأة المهم في الحياة العامة، كيف لا وهي تمثل نصف المجتمع، لذلك لن نستغرب إيراد العبيدي للمرأة بصور متعددة كنموذج يحتذى به . إذ نجد

في رواية (كم أكره القرن العشرين) إنَّ الروائي سلط الضوء على شخصية الأخت التي فقدت أخاها، ومن شدة حبها له لم تصدق برحيله عنها، إنَّها **(ميا مراد)** وهي طبيبة عانت بسبب وجعها النفسي المتأتي من فقدها لأخيها **(مولود)**، والذي اعتقدت بموته في معركة **(الشلامجة)** أثناء الحرب العراقية الإيرانية في ثمانينات القرن العشرين. إنَّ عاطفة المرأة هي الرابط ، فالمرأة هي الوشيجة إلى الحياة وهي منبعها ؛ لذا نرى طغيان العاطفة على العقل في تباين فعل الفقد لاسيما فقد الأخ ، فقد عانت من ذلك الفقد حتى بعد انتقالها إلى بغداد تاركة موطنها الأم البصرة، حيث كونت عائلتها الصغيرة المكونة من زوجها وابنها الذي أسمته على اسم شقيقها (مولود) الذي استشهد دفاعاً عن الوطن، لقد **"روادها إحساسٌ صافٍ جديد، ربما أطلقت المسرات والنجاحات المتتالية سراحها، فتحرَّر بالها المشوش من أغوار الكآبة"**[8]. لقد عاشت (ميا) اشتياقاً شديداً إلى أخيها، وهو دليل قوة الترابط الأسري بينها وبين عائلتها **"غدت صفحات دفاتر عائلتها غير تلك التي ظلَّ بصرها متعثراً بها على مدى عقود، أعوام وأعوام جعلتها تقتنع تماماً بأنَّ أسرتها مصابة بمرض (الأقلية) المزمن، داء العائلات التي لا عشائر لها، كما ظلت لعقود متحالفة بالفطرة مع المصائب التي لم تختتم بفاجعة استشهاد شقيقها (مولو) ثم السكن في بيت الزوجة ببغداد بعيداً عن أشجان البصرة وويلاتها"**[9].

لقد عانت (ميا) من حادثة فقدان أخيها وفقدان موطنها الأصلي البصرة، فهي من أصول (بلوشية) غير عربية، نشأت وترعرعت في البصرة فأضحت البصرة موطنها الأم، ولما فقدت ذلك الوطن عانت من اغتراب واضح**"ستحتاج الطبيبة إلى ذلك الاستذكار لتناكد به النسيان، ففي الأيام الباردة ظلت كل الأشياء تنزلق بخفة دونما عناية لكن مشكلتها مع الماضي لم تحل بعد"**[10]، قد مثل فعل الفقد عند (ميا) امتداداً تاريخياً ، حدثٌ تكرر واستمرت آثاره ، امتد مع الزمن ، فقد فقدت (ميا) الأخ ، بعد أن فقدت الأم والأب، وعاشت مع جدتها، ثم فقدت معه الوطن ، ولاشك أن هذه الحوادث أفقدتها الشعور بالسعادة ، فقد أضاعت من حياتها الكثير ، وما كان عليها إلَّا أن تحاول التخفيف من حدِّة آلام الفقد التي كانت تصاحبها. ومن الشخصيات التي كان لها حضور مؤثر في هذه الرواية، شخصية (بيبي سليكة)، تلك الجدة التي احتضنت أحفادها الثلاثة (مولود) والدكتورة (ميا) وأختهما (ريا) بكل حب وحنان، فهي بمنزلة الأم لهم، وقد تقمصت هذا الدور فعلياً بعد وفاة والدتهم، وقد عاشت هذه الشخصية المحببة لنفوس أحفادها حزناً عميقاً بعد وفاة حفيدها (مولو) وهي التي كانت تتمنى أن يقوم حفيدها بدفنها وليس العكس لقد **"ظلت الجدة المذعورة تهز رأسها بتأسف شديد، تتأفف كثيراً على غير عادتها، وتتململ في جلساتها غير المريحة وسط جموع النساء متحاشية النظر إلى الجنازة أو إلى أسراب النساء اللاطمات من حولها"**[11]. ويبدو أن الراوي قد وظف فعل الفقد خير توظيف في روايته ، فقد كان لهذا الفعل أثر كبير في الرواية قبل أن يعود لسرد حكاية (مولو) فقد تركزت أحداث الرواية – فيما بعد – على دور هذا المفقود ، فأثار الراوي بفعل الفقد الذي قدمه على كثير من أفعال الرواية ،اهتمام المتلقي، وتلهفه على معرفة ما يحيط بـ(مولو)، فضلا عن الأثر الذي خلفه في الشخصيات. فبعد سماع خبر استشهاد الحفيد(مولود) أصبحت الحياة لا تطاق في بيت البلوش، وخاصة ما كانت تشعر به الجدة المنكوبة التي فقدت قطعة من روحها " **البيت لاذ بالعتمة حقاً، انتهت قصص هرب (مولو) ومعها تلاشى رعب المداهمات والاستفسارات والاستدعاء شبه**

الشهري من قبل دائرة الأمن، فعاد البيت إلى عزلته"[12]. ويبدو أن الجدة كانت دائمة الاستذكار والتأمل في صورة حفيدها الذي فقدته، ومدى ارتباط ذلك الفتى الذي ولد وترعرع في مدينته (البصرة) **"تأملت الجدة أول صورة لـ(مولو) باللونين الأبيض والأسود كانت يدها ترتعش فتهتز الصورة معها. بدا فيها (مولود) فرحاً وهو يحضن جذع نخلة برحية قبل غروب الشمس..... ثم قربت صورة أخرى من عينيها ولاحظت ساحة (أسد بابل) يقف الأسد فوق ضحيته على قاعدة ضخمة تحيط بها دائرة مضغوطة تتصل بأربع ممرات عريضة "** [13]. ويبدو أن الصور ساعدت الجدة في استعادة بعض اللحظات التاريخية التي جعلتها ترتجف حزناً على فقدها لحفيدها وتاريخها.

وقد استمر الراوي يصور مدى تعلق (مولود) بمدينته في هذا الاستذكار الذي حدث مع جدته، " **طالعت العجوز صوراً أخرى عديدة ،لاحظت فيها حفيدها في ثياب جميلة ووجه متعدد الملامح، يجلس تارة على دراجة بخارية، وتارة أخرى يقف إلى جانب تمثال (الفراهيدي)، أو قرب أحد بيوت الشناشيل في البصرة القديمة"**[14]. ومن ثم يأتي دور الأخت الصغرى التي عانت الكثير جراء فقدها لأبيها وأمها ومن ثم أخيها مولود، فتوجب عليها أن تواجه هذا العالم من دون حماية مع جدتها وأختها الكبرى، ويصور الكاتب ذلك بالقول: " **هرعت الفتاتان نحو جدتهما، فصدمن بمشاهد مثيرة، لا تقل عن مشهد الجدة العجوز الممدة على الأرض ،كان أبرزها: ساعة (مولو) و(جزدان الحاج مراد) وصور متناثرة عديدة"**[15]. كانت التصورات تمثل عملية مونتاج لأحداث ماضية أضافت للحدث نوع من أنواع الإثارة جمع فيها الراوي بين متقابلين المشاهد المثيرة ومشهد الجدة العجوز .

ونجد في رواية (كم اكره القرن العشرين) أن العبيدي وظف شخصية امرأة فكانت بمنزلة الراوي لأحداث تلك الرواية، فقد تنبأت بمصير بطل الرواية (مولو) الذي كان يمرُّ بأزمة نفسية بسبب هروبه المستمر وملاحقة أفراد الانضباط العسكري له، وهي شخصية العرافة التي التقت به في المقهى " **في تلك اللحظات الرطبة شديدة البرودة، حالما ظهرت قبالة الباب فتاة في الثلاثينيات، كانت تهم بالدخول إلى المقهى"**[16]. وبينما كان مولو يظن أن هذه المرأة ماهي إلا شحاذة أو شيء من هذا القبيل بادرته العرافة بالهمس بصوت لهُ لكنةٍ مميزةٍ بعد أن تلمست كفَّه: " **صدك حظ أمك عاميك، حياتك هلوسات ورعب وقلق وشك، ويطاردك عدو لك، يااااه .... كم يكرهك، كن حذراً منه، فسيظفر بك يوماً، قد تنجو منه مرة أو مرتين، ولكنه سيظل يتبعك مثل ظلك، وسيقتفي أثرك أينما حللت"**[17]. وقد أفاد الراوي من دور المرأة في سرد استباق لمصير (مولو). وفي رواية (ضياع في حفر الباطن) نجد أن شخصية الأم كانت مهمة جداً، فقد تمثل دورها في محاولة إخفاء ابنها عن عيون إفراد الانضباط العسكري الذين تربصوا للإمساك به ومن ثم زجه في محرقة الحرب، وقد جسد البطل ذلك في حوار داخلي، قال : **"أمي التقطت بفطنتها مقاطع من حواري السري داخل صخب العائلة، أمَّا أبي فكان يراقبني عن بعد ويتفقد حالتي غير أن نقطة التصادم بينهما حدثت فيما بعد"**[18]. ومن الشخصيات الأنثوية البارزة في هذه الرواية (جوليا) التي أضحت كالملاك بنظر البطل، فقد ضمدت جراحه وأراحت نفسه برقتها وجمالها الأخاذ ويتضح ذلك في قوله : " **عندما أراها بكل هذه الأنوثة والغنج والضحكات، أتحسس البعد بين عالمين، عالم الأقفاص وعالم (جوليا)"**[19]، فقد تعلق قلب بطل الرواية بهذه الشخصية ، مع أنه كان يعاني الأسر بعد الضياع ، كان يشعر بالسعادة بوجدها ، "

في داخل الخيمة أرى (جوليا) وعوالمها البهيجة ، وأواصل حواري مع الطبيب المعالج ، كان كلما لمحني يفتح عينيه على وسعيهما ويهتف، oh Romel، ثم يبتسم وتبتسم معه جوليا "[20] ، ومع أن ظهور هذه الشخصية جاء متأخراً في روايته ، إلا أنها مثلت دور المرأة وقدرتها على التأثير في أحلك الظروف، وأسوء الأمكنة ، فالمكان مخيمات الأسر التي عادةً ما يشعر من فيها بأسوأ المشاعر .

ب- شخصية المثقف:

في روايات العبيدي نماذجَ لشخصيات مثقفة كانت تعاني ويلات الحروب في فترة صعبة من تاريخ العراق الحديث، بداية مع الحرب العراقية الإيرانية ، مروراً بحرب الخليج مع القوات الأميركية إبان غزو العراق للكويت عام 1990م، ويندرج ضمن هذا النمط الشخصية الرئيسة في رواية (ضياع في حفر الباطن) والتي أخذت على عاتقها دور الراوي كلي العلم، وبالنظر إلى هذه الشخصية يتبين أنَّها شخصية شاب مثقف تمَّ الزجُّ به في الحرب العراقية- الإيرانية ومن ثم وجد نفسه متسكعاً في شوارع البصرة من دون عمل، بعدها حصلت حادثة غزو الكويت وتمت إعادته إلى الخدمة العسكرية مرَّة أخرى، وتمَّ الزجُّ به في منطقة حفر الباطن الصحراوية، فأسهم ذلك بتفجير مشاعر ناقمة مكبوتة في مكنونات تلك الشخصية، وقد جسد الراوي ضياع تلك الشخصية عندما ترك مجبراً مدينته الجميلة البصرة فـ" **انطفأت ملامح أحياء الزبير فجأة، اختفت الدريهمية وسوق العورة والزوبات وباعة نعال الجلد، ومضينا جنوباً في طريق صحراوي طويل تحيطه دائرة رملية حمراء لا نهائية، وتخيم عليها قبة زرقاء بدت هائلة** "[21]، وقد اتضحت تلك المشاعر بوصف ابتعاد ملامح المكان ، لبيان مدى تعلق الشخصية بالمكان. لقد ضمَّ العبيدي شخصية المثقف المنتمي قسراً إلى السلك العسكري إلى جانب شخصيات جنود آخرين أقلَّ منه أو قد يقاربونه ثقافة، في خلطة سردية مميزة جمعت بين ثقافات مدن عراقية متعددة جمعتها بيئة حفر الباطن الصحراوية القاسية، علاوة على تبيان حالة الاضطهاد الكبير الذي عاش فيه المثقف العراقي إثناء تلك الفترة وكيف إن السلطات البعثية جعلت منه وقوداً لحروب عبثية كثيرة، الأمر الذي دفع المثقف العراقي إلى نبذ الواقع المرير المرفوض بالهرب من محرقة البعث بشتى السبل، وإن تتطلب الأمر مواجهة موت محتم أو تعذيب شديد على يد أجهزة أمن الدولة المتعددة، وهذا ما نجده في رواية (الذباب والزمرد) فالبطل المثقف يعيش متخفياً داخل مدينته التي ينتمي إليها، والسبب تخلفه عن الذهاب إلى جبهات القتال، ولنقرأ مقطعاً يبين مدى حالة الرعب التي تغلبت على المثقف العراقي في تلك الفترة، وكيفية تعامل الانضباط العسكري معه، إذ نقل لنا الراوي قول أحدهم: "**من الواضح أنك مثقف، رغم أنك ابن عائلة خائنة، شقيقك يحيى مجرم وهارب، والدك عجوز، شقيقك الثاني مدير مدرسة ابتدائية سابقاً وكاسب حالياً** "[22]، وهنا يتبين أن المثقف كان يعي التسلط المفروض وكان رافضا له ، وهو في نظر السلطة يجب أن لا يكون موالياً لها وإلاَّ اتصف بالخيانة. ومن ثم تزداد الحبكة تعقيداً فيتم توجيه اتهام خطير جداً للبطل "**ولكن بعد تسرحك بدأت تتردد على عائلة أبي داود، وهي عائلة اتضح لنا مؤخراً أنها ذات جذور صهيونية**"[23]، فقد اتُّهِمَ البطل بأنَّه عميل للصهيونية !! واضح أن السلطات لم تميز بين اليهودي عراقي الجنسية والمولد والذي قد يحمل حساً وطنياً ناصعاً وبين الصهيونية بوصفها حركة استعمارية ذات طابع استيطاني.

وفي موضع آخر من هذه الرواية تعرض البطل صاحب الشخصية المثقفة إلى انتهاك عنيف لحريته على يد ضباط السلطة بسبب اتهامه بالعمالة لصالح الصهيونية "**انفجر الضابط في وجهي غاضباً وراح يشتم ويتوعد وهو يضرب على الطاولة بكفيه، ثم ضغط على زر الجرس ففُتِح الباب على الفور وتقدم نحوي اثنان لا ينتميان إلى الجنس البشري... صفعني الأول على وجهي فسقطت على الأرض وجلس الثاني على ظهري وكاد يخنقني حتى فرغ من شد يدي**"[24] وهنا يبدو أن المكان كان يضيق بالمثقف العراقي، فبعد أن تبين لنا حاله أمام المطاردات والاضطهاد، تتبين علاقته بالمكان والزمان حلى حد سواء، فالمثقف يمثل لسان حال الشعب وهو المدافع عن حقوقهم، وقد جعل الراوي هذه الشخصية أنموذجاً يمثل شخصيات كثيرة عانت من وجودها في مكان لا راحة فيه مع تأثير الحكم الظالم المتهور، فقد توقف دور المثقف، وأصبح عاجزاً حتى عن الدفاع عن نفسه .

2- الشخصية مرهوبة الجانب:

إنَّ الصراع في الروايات يجب أن يقع في أحداث مختلفة أو حدث معين واحد، وكذلك وجود قوة معاكسة تضع الحواجز والعراقيل أمام الشخصيات وتمارس عليها سلطتها، فوجود علاقة التسلط بين الشخصيات العاملة في الرواية يشكل علامة إيديولوجية لا عقلانية يعاد إنتاجها على المستوى الأدبي في تصوير النظم التسلطية السائدة في المجتمع وتجسيدها إبداعياً، ثم إشاعتها في نماذج تخيلية قريبة من الأصل بهذا القدر أو ذاك[25].

- شخصية الضابط وأفراد الانضباط العسكري:

ترى الباحثة من خلال قراءتها لأعمال العبيدي، أن شخصية الضابط المدافع عن حزب البعث الحاكم وقتئذ قد استحوذت على حصة الأسد مقارنة بباقي الشخصيات في نتاج العبيدي، وذلك في ما نجده في رواية (ضياع في حفر الباطن) فالضابط حاول فرض سلطته التعسفية على الجندي الذي أتم خدمته وهو في انتظار كتاب تسريحه من الخدمة "**في صبيحة يوم التسريح، أمسك بيدي رأس عرفاء الوحدة وقادني إلى ملجأ آمر الفوج، عند الباب أخبرني أن السيد الآمر بعث بطلبي لأمر هام، وزعم أنه لا يعرف شيئاً عن ذلك الطلب الغريب**"[26]. ويبدو أن تلك الشخصية - وأعني بها شخصية الآمر- مثلت نوعاً من الخوف والهلع لدى الجندي المجرد من أي سلطة، فالضابط هو صاحب القرار الحاسم في بقاء الجنود أو ذهابهم إلى ساحات القتال، ومن ثم يطلب الآمر من الجندي البقاء في المقر محطماً آماله الواسعة في استنشاق هواء المدنية بعيداً عن العسكرية "**اليوم تسريحك ها؟ سألني الآمر فجأة، ثم أجاب هو على سؤاله، سنؤخرك قليلاً، لأن مكتب قلم الوحدة يكاد يفرغ من منتسبيه، سأعينك في قلم الوحدة، ريثما يتم تنسيب كُتَّاب جدد، ابق معنا أفضل، فالتسريح في هذه الأيام يعني البطالة والتسكع في الشوارع، كلامي واضح!؟**"[27]. لقد أشاعت شخصية الضابط بما تحمله من عنجهية جواً من التوتر داخل المكان، فلم يستطع البطل الإدلاء برأيه وسط سطوة تلك الشخصية التي حوَّلت المكان المفترض أن يكون مكاناً تشع منه طاقات إيجابيه ؛ كونه سيؤشر على تسريح البطل من السلك العسكري، إلى مكان مليء بالتوتر والشحنات السالبة. وفي موضع آخر من رواية (ضياع في حفر الباطن) تغيرت شخصية الضابط المسيطرة والمرهوبة وأضحت مهزوزة في فترة غزو العراق للكويت عام 1990م، فمصيرهم ومصير جنودهم واحد في ظل الظروف التي تنبئ بضعف الدولة، ولم تنفع الشعارات القومية التي كانت تصدح في طرد الخوف الذي سيطر عليها، ذلك الخوف من المجهول الماثل أمام أعينهم"**بدأ أفراد الانضباط يلوحون بعصيهم ويشيرون إلى عدد من السيارات الواقعة قرب سجن الوحدة، فسرنا باتجاهها طبقاً لأسمائنا التي كان يقرؤها رأس عرفاء الوحدة**

بطريقة تثير السخرية"[28]. أمَّا في رواية **(كم أكره القرن العشرين)** فنجد شخصية (صارم) ذلك العدو اللدود لـ(مولو) البلوشي، وصارم كما تصوره الرواية يعمل في الانضباط العسكري وقد كرَّس جل وقته للنيل من مولو في لعبة اسماها الكاتب بـ (لعبة الهارب والزنبور) ويبدو أن الزنبور هي كنية لـ(صارم)عدو مولو، ولم يكن عداء صارم لمولو من فراغ، فصارم يحاول بشتى الطرق عرقلة خطوبة (ميا مراد) شقيقة مولو، لذلك نراه يختلق الأعذار للدخول إلى بيت البلوش بحجة البحث عن الهارب مولو، وقد استمر صارم يتعقبها ويدبر الكثير من المداهمات الليلة **"بحجة إلقاء القبض على شقيقها الهارب"**[29]. وقد تعمل الشخصية مرهوبة الجانب على مساعدة الشخصية المطاردة في مفارقة غريبة صنعها الكاتب، وهذا ما نراه في رواية (كم أكره القرن العشرين) فالضابط (مضر عبيجل) ساعد (مولو) في رحلة هروبه ووضعه في سيارة وأخذا يجوبان الشوارع والمقاهي والملاهي[30]، وربما كانت علاقة الصداقة التي تربطهما سبباً رئيساً في ذلك التصرف.

3- أنموذج الشخصية ذات الكثافة السيكولوجية:

تمتاز الشخصية الروائية عامة بأنها ذات محتوى سيكولوجي ذا خصوبة وتعقيد. فهي تحفل بالتوترات والانفعالات النفسية التي تغذيها دوافع داخلية نلمس أثرها فيما تمارسه من سلوك وما تقوم به من أفعال[31] لاسيما أن الظروف التي توافرت في روايات العبيدي كانت تثير الانفعالات النفسية ،فقد شهدت شخصيات رواياته الحروب والهروب والاعتقالات والترهيب المستمر على مدى أعوام طويلة ؛ لذلك برزت شخصيات قد لا نجد لها مثيلا في روايات أخرى، وهي:

أ- شخصية الهارب:

احتلت شخصية الهارب مساحة واسعة في نتاج العبيدي السردي، ولعل حياة العبيدي الشخصية وما رافقها من ظروف وتقلبات سياسية وعسكرية جعلت منه ممثلاً لشريحة واسعة من الشباب العراقي وقتذاك؛ فصور لنا من خلال شخصية الهارب حال الآلاف من الشباب في وقت حرج من تاريخ العراق الحديث. ونجد هذا النمط في شخصية (مولو) الذي فضل الهرب من جحيم الحرب ومضايقات (صارم) له، وبالنظر إلى شخصية لهذه الشخصية نجد أنَّه يعاني من عقد نفسية جعلت منه محبطاً، ومردُّ ذلك الإحباط ناتج عن عدم شعوره بهويته الحقيقية كونه بلوشي، ومن ثمَّ تنامت تلك العقدة أكثر بعد إخفاءه لحقيقة أنَّه حي ، وأنَّ جثة عدوه اللدود (صارم) الذي قتل في المعارك مع إيران،ومحاولتهإيهام الجميع أنَّها جثته، **"حتى الآن مازلت أرفض- بالقدر ذاته - تصنيف ذلك الذنب في خانة الخطيئة، لم اعترف بعد باقترافي جرماً رغم كل ما جلبه ذلك الذنب من كوابيستنمُّ عن خطورته، وقسوة تذكره"**[32]، فقد أجاز لنفسه ارتكاب هذا الذنب ؛ للخلاص من معاناته .

وبجانب (مولو) كان هناك مجموعة من الشخصيات الهاربة اصطلح عليهم الكاتب لقب (الشماريخ) وهم كل من (عزام) صاحب الورشة الذي شارك مولو هروبه وذهابه معه إلى صديقه (عجلان) والمكوث في شقته، ومن الشماريخ -أيضاً – (شكيب) و (قيس) وغيرهم ممن عانوا من التشرد والهروب المستمر من قبضة النظام الحديدية، مخفين ذلك الشعور القاتل بضحكات وسكر مستمر **"وحده (عزام) ظل يجول ببصَرهِ في وجوه المقهقهين الثلاثة المقوسين على الطاولة ويبث على مهل ضحكته الخائنة القصيرة المبتورة"**[33]. يبدو أن الراوي كان يرى أن ما يحدث في رواياته محض جنون ، وقد وصف ذلك في مقالة له ، قال فيها **" سأحدثكم عن تلك اللحظة التي انسقت فيها إلى ما وراء أفقي إلى وُجهةٍ تقعُ مابين الحقيقة والخيال ، شيَّدت فيها مبنى لجمع كل مجانين**

رواياتي وقصصي وأسميته مستشفى السرد "[34] يبدو أن الراوي لم يجد ما هو أسوء من أن يصف شخصياته بالمجانين في عالم بين الحقيقة والخيال لسبب واضح هو أن ما حدث في تلك الأزمنة والأمكنة لا يمكن أن يتحمله غير المجانين أما في رواية (الذباب والزمرد) فيشارك بطل الرواية مجموعة من الهاربين مغامرات هروب ممتعة تنتهي باختبائهم في مقبرة اليهود التي تحتضنهم هم وخليلتهم الخمرة وكأنَّهم عشاق يختبئون من أعين الناس **"بعد منتصف الليل يزداد صخب الشرب وتكون المقبرة عرضة لعمليات الدهم فيزداد حذرنا ونتحاشى الكثير من الجماعات والأفراد"**[35] المكان الأكثر أماناً لم يسلم من مداهمات الأمن ، إلا أن أبطال الرواية لم يعثروا على مكاناً آخر يحتوي على الهواء النقي الذي يشعرهم بوجود الحياة والظلام الدامس الذي يستر هروبهم وخمرتهم عن الآخرين. وفي (**ثمانية أعوام في باصورا**) يدور القصص حول شخصيات هاربة تعاني الأمرين من السلطات الحاكمة التي تحاول زجَّها في حرب طاحنة مع إيران. ففي قصة (ضياع مرح) يسرد لنا العبيدي قصة عن مجموعة من الهاربين الذين يأويهم (عمو مشتت) في مقهاه بعد حضور أحد (الزنابير) وهم أفراد الانضباط العسكري، حين يطلق جملته التي تحمل شفرة سرية للهاربين (مروا عليه الحلوين) وهي جملة اقتبسها من أغنية تراثية لناظم الغزالي، ولعل اقتباسه لهذه الأغنية لم يكن عبثياً، فالحلوين ماهي إلا كناية عن أفراد الانضباط العسكري، وعند سماع أولئك الهاربون لشفرة منقذهم ينتشرون كالفراش محاولين الاختباء في أماكن سرية خلف المقهى ويصور ذلك المشهد الراوي بقوله: **"أفراد وجماعات من الهاربين تتنافس قبالة فتحة في جدار المقهى الخلفي"**[36]، وما كان هذا التنافس إلَّا لإيجاد مكان آمن بعيد عن سلطة أفراد الانضباط العسكري، إذ يمكن أن يبعد المكان بتغييبه عن علم السلطات وإخفائه عنهم.

ب- الشخصية غير السوية :

وردت في روايات العبيدي نماذج لشخصيات غير سوية التصرفات ولعل ذلك كان نتيجة لإفرازات تلك المرحلة العصيبة، فنتج عن ذلك وجود لشخصيات عانت من الشذوذ وغير ذلك من الصفات غير الحميدة. ويندرج ضمن هذا النمط شخصية (مالك العمارتلي) والذي يلقبه العبيدي بـ (الأشتر) ذلك الشاب ابن ريف العمارة الذي تربى على العادات والتقاليد العشائرية في مجتمع يسوده الكبت والتسلط، ولما وجد الأشتر نفسه وسط صحراء حفر الباطن نفس عن رغبته الجنسية بطريقة شاذة جداً، فضاجع الكلبة بشكل مقزز **"في تلك الساعة المتأخرة من الليل دوى نباح الكلب في داخل الملجأ كان صوته أقرب إلى الزئير وبدا وكأنَّه يختنق ويطلق آخر استغاثاته"**[37]. لقد استسلم الأشتر لرغبته الجنسية عكس باقي الجنود الذين لم يجرأوا على القيام بفعل مشين كهذا، ولعل السبب يكمن في تركيبة الأشتر النفسية المختلفة عن باقي أقرانه من الجنود. ولم يفت الكاتب تصوير مشهد يدل على الشذوذ بين أفراد الجيش في صحراء حفر الباطن وهم يمارسون الشذوذ في حمامات وسط الصحراء، فكانت مجموعة العبيدي العسكرية غريبة فهي خليط من **"بعض المتشددين والشقاوات والوضعاء والشاذين"**[38].

ويندرج تحت نمط الشخصية غير السوية شخصيتي الأختين (نهلة ونهودة) شقيقتي (صارم) الزنبور، فبحكم التفكك الأسري الذي كانت عليه تلك العائلة، استغل (مولو) تلك النقطة بالذات للثأر من عدوه صارم وذلك عن طريق إقامة علاقة غير شرعية مع أحدى شقيقته **"هل كان ينتظر (صارم)**

أكثر من هذا الخزي؟ يآاه...حفلتي معشقيقتيك العاهرتين لم تنته بعد، لكنها مع (نهودة) بالذات بدأت وانتهت هكذا، ولكن كيف يمكن للجسد ياصاح أن ينفصل هكذا طوعاً عن أحكام كانت تعود له ما قبل ساعة !؟"[39]. من الواضح أن الشخصية غير السوية جاءت على صورتين في نتاج العبيدي الروائي صورة الشاذ جنسياً والتي جسدها العبيدي بحالة الجنود وقت الحرب ويمكن أن نعلل لأولئك الجنود صنيعهم ذلك نظراً للفترة الطويلة التي قضوها بعيداً عن ديارهم، فضلاً عن ضعف الوازع الديني والأخلاقي . أما الصورة الأخرى للشخصية غير السوية فهي صورة المرأة العاهرة وقد أوجدها الراوي في مواطنعدَّة، ومنها شخصية زوجة الأستاذ (أبو اللطُف) في قصة (وجودية مرحة)[40] في (ثمانية أعوام في باصورا) و شخصيتي (نهلة وهنودة)في رواية(كم أكره القرن العشرين)[41].

نخلص من دراستنا لهذه النماذج إلى أنَّ العبيدي قد أفاد من شخصيات ذات طابع نفسي خاص على شاكلة (الأم، والعجوز الكبير، والزوجة الصالحة، والجدة، والجد، والمثقف، والضابط، والهارب، والشاذ) في تغيير صبغة المكان الروائي بما تحمله تلك الشخصيات من طاقات نفسية ومعنوية وعلمية، أو بما تشتمل عليه من أبعاد سيكولوجية معقدة، فأضحى المكان في حالة دينامية متغيِّرة، مما أضاف إلى النص السردي أبعاداً إيجابية وسلبية وعمق من علاقات الشخصية بالمكان بصورة وثيقة. وخلاصة القول أن الراوي أفاد من تعدد الشخصيات وعمل على تنويعه البيان علاقتها بالمكان وأثر الأحداث فيهما، وقد كان للمرأة دورها الفاعل فالراوي لم يغفل هذا الدور في أغلب رواياته، وقد كان أثر المكان كبير في الشخصيات فالمكان متأثر ومؤثر في الوقت ذاته ولي أن أقول إن المكان يضيق ويتسع بحسب وجهة نظر الشخصية، وقد تركز عمل الراوي في بيان علاقة الشخصية مع المكان على الشخصيات الجاذبة وأبطال روايته ولم يعمل على ذلك مع الشخصيات مرهوبة الجانب، فقد كان اهتمامه أحادي الجانب، لبيان أثر الظلم لموازنة الأحداث بين شخصيات الرواية .

هوامش ومصادر البحث

(1) قاموس السرديات، جيرالد برنس، ترجمة : سيد زمام،ميريت للنشر والمعلومات، ط1، القاهرة . 2003م: 31/3 .

(2) دراسات في الواقعية،جورجلوكاتش، ترجمة: نايف بلوز، وزارة الثقافة، ط2، دمشق-سوريا،1970م: 28.

(3) مورفولوجيا القصة، فلاديمير بروب، ترجمة : د. عبد الكريم حسن، ود. سميرة بنت عمو، دار شراع للدراسات والنشر، ط1، دمشق – سوريا، 1994م : 83 .

(4) يُنظر: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، د. حميد لحمداني، المركز الثقافي العربي . ط1، بيروت – لبنان، 1991م : 50 .

(5) يُنظر: نظرية الرواية، بحث قي تقنيات السرد، د. عبد الملك مرتاض، عالم المعرفة ،د ط، الكويت 1994م: 103-104 .

(6) ينظر: مدخل إلى تحليل النص البنيوي للقصص، رولان بارت، ترجمة : منذر عياشي، مركز الإنماء الحضري، ط2، حلب – سوريا، 2002م : 72 -73 .

(7)يُنظر : بنية الشكل الروائي – الفضاء- الزمن – الشخصية، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1990م : 269 .

(8)كم أكره القرن العشرين ، رواية ، عبد الكريم العبيدي ، دار قناديل ، د. ط ، بغداد ، د.ت : 22 .

(9)كم أكره القرن العشرين: 22 .

(10) المَصدرُ نَفسُهُ : 23 .

(11) المَصدرُ نَفسُهُ : 28 .

(12) كم أكره القرن العشرين: 31.

(13) المَصدرُ نَفسُهُ: 41.

(14) المَصدرُ نَفسُهُ: 42.

(15) المَصدرُ نَفسُهُ :43 .

(16) كم أكره القرن العشرين 55.

(17) المَصدرُ نَفسُهُ: 57.

(18) ضياع في حفر الباطن ، رواية ، عبد الكريم العبيدي ، دار قناديل ، ط2 ، بغداد ، 2018م : 29.

(19) المَصدرُ نَفسُهُ :181 .

(20) ضياع في حفر الباطن: 181 .

(21) المَصدرُ نَفسُهُ : 39.

(22) الذباب والزمرد ، رواية ، عبد الكريم العبيدي ، دار قناديل ، د. ط ، بغداد ، د. ت : 112 .

(23) المَصدرُ نَفسُهُ : 112 .

(24) المصدر نفسه: 113 .

(25) يُنظر : بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي : 279 .

(26) ضياع في حفر الباطن: 10 .

(27) ضياع في حفر الباطن: 11 .

(28) المَصدرُ نَفسُهُ : 38.

(29) كم أكره القرن العشرين: 21

(30) يُنظر: كم أكره القرن العشرين: 192 .

(31) يُنظر : بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي : 302 .

(32) كم أكره القرن العشرين: 225 .

(33) كم أكره القرن العشرين: 70 .

(34) في مشفى السرد .. شهادة روائية ، مقالة ، عبد الكريم العبيدي ، الرواية ، Alrwaya .net .

(35) الذباب والزمرد: 102 .

(36) ثمانية أعوام في باصورا ، مجموعة قصصية ، عبد الكريم العبيدي ، دار قناديل للنشر والتوزيع ، ط1 ، بغداد ، 2018م : 22 .

(37) ضياع في حفر الباطن: 108 .

(38) المَصدرُ نَفسُهُ : 136 .

(39) كم أكره القرن العشرين: 218 .

(40) يُنظر : ثمانية أعوام في باصورا : 78 .

(41) يُنظر : كم أكره القرن العشرين : 218- 220 .

1. ation: Sayed Zemam, Merit Publishing and Information, 1st edition, Cairo. 2003AD: .31/3

(2)Studies in Realism, Gorkloch, translation: Nayef Blues, Ministry of Culture, 2nd edition, Damascus-Syria, 1970AD: .28

(3)Morphology of the Story, Vladimir Probe, translation: d. Abdul Karim Hassan, and Dr. Samira Bint Amo, Dar Sheraa for Studies and Publishing, 1st floor, Damascus - Syria, 1994AD: .83

(4)See: the structure of the narrative text from the perspective of literary criticism, d. Hamid Hamdani, Arab Cultural Center. 1st floor, Beirut - Lebanon, 1991AD: .50

(5)See: novel theory, research in narration techniques, d. Abdul Malik Murtada, Knowledge World, ed., Kuwait 1994AD: .104-103

(6)See: An Introduction to the Structural Text Analysis of the Stories, Roland Barth, translation: Munther Ayashi, Urban Development Center, 2nd edition, Aleppo - Syria, 2002AD: .73-72

(7)See: the structure of the narrative form - space - time - personality, Hassan Bahrawi, Arab Cultural Center, i 1, 1990AD: .269

(8)How I hate the twentieth century: .22

(9)How I hate the twentieth century: .22

(10)The same source: .23

(11)The same source: .28

(12)How I hate the twentieth century: .31

(13)The same source: .41

(14)The same source: .42

(15)The same source: .43

(16)How I hate the twentieth century .55

(17)The same source: .57
(18)Loss in Hafar Al-Batin: .29
(19)The same source: .181
(20)Loss in Hafar Al-Batin: .181
(21)The same source: .39
(22)Flies and Emeralds: .112
(23)The same source: .112
(24)The same source: .113
(25)See: Narrative Form Structure, Hassan Bahrawi: .279
(26)Loss in Hafar Al-Batin: .10
(27)Loss in Hafar Al-Batin: .11
(28)The same source: .38
(29)How I hate the twentieth century: 21
(30)See: How I Hate The Twentieth Century: .192
(31)See: Narrative Form Structure, Hassan Bahrawi: .302
(32)How much I hate the twentieth century: .225
(33)How much I hate the twentieth century: .70
(34)At Al-Sard Hospital: Narrative testimony, essay, Abdul Karim Al-Ubaidi, Al-Rawyah, Alrwaya .net.
(35)Flies and Emeralds: .102
(36)Eight years in Basora: .22
(37)Loss in Hafar Al-Batin: .108
(38)The same source: .136
(39)How much I hate the twentieth century: .218
(40)Seen: Eight years in Basora: .78
(41)See: How I Hate The Twentieth Century: 220-218

The Place and The Character in the Narratives in AbdulKareem al-Ubaidi

Asst. Prof. Dr. Taghrid Abdulkhaleq Hadi , Ghada Tareq

University of Baghdad, College of Education,

Ibn Rushd for Human Sciences, Department of Arabic language

Abstract:

The narrator benefited from the multiplicity of characters and worked to diversify them in all his novels, and the place had a great impact on the character, as the place is affected and influential at the same time. As the place narrows and widens according to the narrator's point of view.

The narrator worked on employing the woman's personality in multiple roles, but the woman's role in the war novels was a secondary role that being influenced by the place, and the woman's personality belongs in Al-Ubaidi's novels to the attractive character even though it appeared in different roles ((Jeddah, female doctor, secretary, pet, sister)).

Most of the roles of women were not taken a wide area from the novels of Abdul Karim Al-Obeidi, as the mention of women was limited to performing the reflective role of the effects resulting from the events of the war on the place. The narrator worked on finding the visual equivalent in creating his characters. He created a kind of paradox in the combination of the intellectual personality and the personality Amartly. The narrator worked on a statement more than a sign to show the role of the intellectual. Sometimes he is exposed to influences that in turn end up to nothing and at other times he works on a significant cultural change.

Key word: the place – Personal - the speech – Narration - Narrative speech